مجلـــــــــة علمية محكمة نصف سنوية

تصدر عن كلية الآداب والعلـــــــــوم مسلاته/ جامعة المرقب

تُنشر البحوث والدراسات الأكاديمية المعنية بالمشكلات والقضايا المجتمعية المعاصرة في شتى التخصصات العلمية والدعــوة عـامة

توجه جميع المراسلات والبحوث الى رئيس تحرير المجلة

على العنوان التالي:

كلية الآداب والعلوم / مسلاته – ليبيا

الرابط الالكتروني للمجلة: http://qlaj.elmergib.edu.ly

البريد الالكتـــروني: journalalqala@gmail.com

رقم الايداع القانوني: 2020/477

طباعة/ دار الفسيفساء للطباعة والنشر والتوزيع- طرابلس – ليبيا / 2022

مَجلة

هيئة التحرير

أ.د. عبدالسلام عمارة اسماعيل رئيسا
د. سالم مفتاح أبوالقاسم عضوا
د. ناصر مفتاح الزرزاح عضواً
أ.د. بناصر محمد الفيتوري عضوا
د. ناصر فرحات المسلاتي عضوا
د. ميلاد امحمد دربـ وك عضواً

الهيئة الاستشارية

أ.د. أحمد محمد بوني
أ.د. تومي عبدالقادر
أ.د. محمد أحمد الدوماني
أ.د. مفتاح بلعيد غويطة
أ.د. بيران بن شاعة
أ.د. عبد الكريم محمود حامد
أ.د. صالح حسين الآخضر
أ.د. النعمي السائح العالم
أ.د. بوكربوط عزالدين

تنفيذ

أ. عبدالقادر التومي منصور

قواعد ومعايير النشر بالمجلة

حرصاً من هيئة التحرير على استخدام الأسلوب العلمي الأمثل في كتابة البحوث والدراسات التي تنشرها، وأخذاً إلى التيسير على الباحثين والقراء نأمل من الجميع الالتزام بالقواعد والمعايير التالية:

1) يقر الباحث كتابياً بأن بحثه لم يسبق نشره، أو أرسله لجهة أخرى للنشر.

2) أن يكون البحث أو الدراسة في موضوع مما تُعنى به المجلة.

3) ينبغى أن يكون البحث مراجعاً مراجعة لغوية سليمة، وخالياً من الأخطاء المطبعية، قبل تقديمه للمجلة.

4) يقدم البحث إلى لجنة تحرير المجلة مكتوباً بإحدى اللغتين العربية أو الانجليزية، مرفقاً بملخص لا يزيد عن (300) كلمة، ونسخة محفوظة على قرص حاسوب (CD) قابلاً للقراءة والكتابة.

5). يلتزم الباحث بالأسلوب العلمي المتبع في كتابة المصادر والمراجع والاقتباس (حسب المدارس المعروفة) ويشار إلى **جميع المراجع والمصادر التي أشير إليها في هامش كل صفحة، وبترقيم جديد لكل صفحة، وفي قائمة المراجع في نهاية البحث، وترتب ترتيباً أبجدياً، وتأتي المراجع العربية أولاً ثم المراجع الأجنبية بعدها**.

6) الأشكال البيانية والخرائط المرفقة بالبحث تكون مرسومة أو مصورة تصويراً نقياً يسمح بنشرها على مساحة الكتابة بالصفحة،أما الصور الفوتوغرافية فلا ينبغى أن يزيد عددها على عشر، ويراعى فيها الدقة والوضوح.

7) يفضل ألا يزيد عدد صفحات البحث عن 25 صفحة.

8) تكون الطباعة على ورق (A4) ومقاس لا يزيد عن(12سم×21 سم) بنوع الخط (Sakkal Majalla) وبحجم (14) للنص بالنسبة للبحوث التي تكتب باللغة العربية، ونوع الخط (Times New Roman) وبحجم (10) بالنسبة للبحوث التي تكتب باللغة الإنجليزية.

9) توضع الآيات القرآنية بين قوسين زهراوين وفقاً لرسم المصحف الحاسوبي، وتضبط الأحاديث وأبيات الشعر بالشكل.

10) الالتزام بالمنهج العلمي في البحث والتوثيق.

11) تعرض البحوث المقدمة إلى المجلة على مقيمين متخصصين في سرية تامة، وتكون توصياتهم ملزمة.

12) البحوث المنشورة في المجلة تكون ملكاً لها بمجرد تسليمها ولا ترد أصولها إلى أصحابها، سواء نشرت أو لم تنشر.

13) البحث المنشور في المجلة يعبر عن رأي صاحبه، وهو المسؤول عنه أدبياً وقانونياً، ولا يمثل بالضرورة رأي المجلة.

14).اللغة العربية هي اللغة الأساسية للمجلة، وتقبل البحوث المكتوبة بلغات أجنبية على أن تكون مقرونة بملخص باللغة العربية.

هيئة التحرير

الافتتاحية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الانبياء والمرسلين، سيدنا محمد(ﷺ) وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد،،،

أخي القارئ الكريم:

يأتي العدد التاسع عشر من إصدارات مجلة القلعة العلمية المحكمة ليضيف إلى رصيدها السابق من النشر العلمي حصيلة إمكانات وقدرات بحثية لأساتذة أجلاء من جميع فروع المعرفة الانسانية والتطبيقية.

وبصدور هذا العدد المتنوع في محتواه العلمي يزداد عقد المجلة بتراكم معرفي تفتخر به كليتنا بوجه خاص وجامعتنا الموقرة بشكل عام، ويعكس هذا الرصيد المعرفي مدى حرص هذه المؤسسة العريقة في تنمية الموارد البشرية بليبيا وزيادة الرصيد المعرفي للباحثين.

فالجامعة كونها مؤسسة تقدم المعارف وتخرج الكوادر البشرية المتخصصة في جميع المجالات المتنوعة، مؤسسة بحثية أيضا تسهم في تطوير المعرفة وكشف الحقائق في مختلف العلوم، وذلك بإسهامات العقول النيرة من الباحثين في موضوعات مختلفة ومتعددة.

فتحية شكر وتقدير لكل من ساهم في إثراء هذا العدد بمشاركتهم ببحوثهم ودراساتهم القيمة، وكذلك لكل من ساهم في تقييم هذه البحوث وإخراج هذا العدد من هيأة التحرير ولكل من دعم هذه المجلة ولو بالكلمة الطيبة.

والله ولي التوفيق

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

✍/ هيئة التحرير

البعد الروحي للعبادة في الإسلام

دراسة تحليلية

يوسف إدريس البزاز

عضو هيئة التدريس بجامعة درنة، ورئيس قسم الدراسات الإسلامية بكلية التربية فرع القبة

ملخص البحث:

لقد اهتم البحث بالبعد الروحي للعبادة في الإسلام، ودورها في تربية الضمير ومعالجة الخواطر والوجدان، والوقوف على حقيقتها المعنوية والروحية، كما تطرق البحث إلى أهم المميزات، التي تنفرد بها العبادة في الإسلام عن غيرها من عبادات الأديان السابقة.

وقد قسم البحث إلى جزأين تضمن الجزء الأول من البحث ملامح العبادة، تطرق فيه الباحث إلى مفهوم العبادة من حيث اللغة والشرع، كما سلط الضوء على أهم ملامح العبادة كالشكر، والاستحقاق لله سبحانه دون سواه، وكذلك مخالفة النفس وأثرها في صحة العبادة وكمالها، زد على ذلك الخوف والرجاء وعلاقتهما العميقة بالعبادة، وصولاً إلى الكمال المرجو من تلك الملاح عند المتدين.

أما القسم الثاني فقد سلط فيه الباحث الضوء على العمق الروحي للعبادات العملية في الإسلام كالصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، وما لها من تأثير في سلوك المسلم، وحياته اليومية، وكذلك ما تحتويه من إشارات معنوية، وجب الوقوف عندها، لبيان مرودها الإيجابي على الفرد والمجتمع .

الكلمات المفتاحية: الروحية، العبادة، الاسلام، الشكر، الأثر.

ABSTRACT

The research was concerned with the spiritual dimension of worship in Islam, and its role in raising the conscience and treating thoughts and feelings, and standing on its moral and spiritual reality.

The research was divided into two parts, the first part of the research included the features of worship, in which the researcher touched on the concept of worship in terms of language and Sharia, as well as shed light on the most important features of worship such as thankfulness and deserving God Almighty alone, as well as self-contradiction and its impact on the validity and perfection of worship, in addition to That fear and hope and their deep relationship to worship, leading to the desired perfection of that navigator for the religious.

As for the second section, the researcher sheds light on the spiritual depth of practical worship in Islam, such as prayer, zakat, fasting, and pilgrimage, and their impact on the behavior of the Muslim and his daily life, as well as the moral signs it contains, which must be considered, to show its positive impact on the individual. and society.

Keywords: spirituality, worship, Islam, gratitude, impact.

المقدمة

الحمد لله حمداً كثيراً يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه، والصلاة والسلام علي خير رسله وأنبيائه، وعلى آله وصحبه.

أما بعد ...

مما لا شك فيه أن العبادة في جميع الأديان السماوية حق واجب من حقوق الله تعالى على عباده، فبها يصل العبد إلى ربه، وعلى قدر المحافظة عليها يحدد الإنسان مدى قربه أو بعده من خالقه سبحانه.

والعبادة في الإسلام لها خصوصية، تميزها عن غيرها من عبادات الأديان السابقة، فهي لا تعني الوقوف الجزئي مع الله سبحانه وتعالي في ساعات محددة، ومعينة من الليل أو النهار، ولا تعني كذلك لغة الجسد المتمثلة في التعابير والرسوم، التي يؤديها المتعبد، بقدر ما تعني العمق الروحي، الذي تتلاشى وتضمحل معه النفس، فلا يبقى لها أثر كي تترقى، وتصل إلى حقيقة مفادها أن كل ما دون الله باطل، حينها فقط يتحقق معنى العبادة، وتؤتي ثمارها ويصل بها المتعبد إلى مراده.

ولهذا السبب دون غيره كانت ولا زلت العبادة في الإسلام تمثل تجربة روحية، دقيقة وفردية في نفس الوقت، يخرج بها المؤمن من ظلمات الجسد والماديات، التي تثقل الروح بالشهوات والملذات، إلى عالم الأنس بالله سبحانه حيث الصلاح والفلاح، فهي بهذا الوصف الدقيق تستهدف تصفية النفس الإنسانية، وما يرد عليها من خواطر ومخاطر، والحيلولة بينها وبين كل فعل قبيح لا يتناسب مع حقيقة وجودها.

أهمية هذا البحث: تنبع أهمية هذا البحث من خلال النقاط التالية:

أولاً: يناقش عرض مفهوم العبادة في الإسلام.

ثانيًا: الكشف عن أهدافها وغايتها.

ثالثاً: ومعرفة البعد الروحي للعبادة في الإسلام.

رابعًا: الكشف عن أهم انعكاسات تلك القيم الروحية في المجتمع المسلم.

مشكلة البحث:

يطرح هذا البحث عدة تساؤلات منها:

ما مفهوم العبادة في الإسلام، وما غايتها؟

ما ملامح العبادة في الإسلام؟

ما البعد الروحي للعبادات العملية في الإسلام، وما انعكاساتها على الفرد والمجتمع؟

هل انفرد الإسلام بحقائق عن العبادة دون غيره من الأديان؟

كل هذه التساؤلات وغيرها سوف أجيب عنها خلال هذه الدراسة.

أهداف الدراسة

هدف البحث من هده الدراسة إلى بيان الآتي:

يهدف إلى التعريف بالعبادة وغايتها.

يهدف إلى الوقوف على البعد الروحي للعبادة.

يهدف إلى معرفة أثر العمق الروحي للعبادة على الفرد والمجتمع.

أسباب **اختيار الموضوع**

تتضح أسباب اختيار الموضوع من خلال النقاط الآتية:

أولاً: تسليط الضوء على مفهوم العبادة في الإسلام.

ثانياً: إظهار المعاني الدقيقة للعبادة.

ثالثاً: تسليط الضوء على الدلالة الروحية، وأثرها على المسلم.

الدارسات السابقة

فقد وقف الباحث على عدة دراسات يمكن عرضها في النقاط الآتية:

أولاً: الدلالات الروحية والخلقية للعبادات عن المحاسبي "الصلاة أنموذجاً" دراسة تحليلية، د. نجاة سعد أحمد جاد الرب، مجلة كلية الآداب جامعة جنوب الوادي مصر، العدد الخامس والعشرون.

ثانياً: مقاصد العبادة في القرآن الكريم، ناصر يوسف عبد الله، مجلة كلية العلوم جامعة الموصل العراق، العدد الرابع عشر.

ثالثاً: العبادة وأثرها التربوي على الفرد، حسن أحمد الزبير، مجلة أفاق تربوية، كلية التربية، جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية السودان، العدد الخامس.

وهذه الدارسات لم تعط البعد الروحي للعبادات في الإسلام القدر الكافي من التحليل.

منهج البحث: يعتمد البحث في عرض إطاره النظري ودراسته السابقة على المنهج الوصفي التحليلي.

خطة البحث: أما خطة البحث فقد جاءت الدراسة في مقدمة، وتمهيد، ومبحثين، وخاتمة، وقائمة بالمصادر والمراجع.

المقدمة: وتشتمل على أسباب اختيار الموضوع، ومشكلات البحث، والأهمية، والأهداف، والدراسات السابقة، ومنهج البحث وخطته.

المبحث الأول: ملامح العبادة في الإسلام. ويتضمن مصطلح العبادة، ومفهومها في الإسلام، وكذلك ملامحها كالشكر، والاستحقاق لله سبحانه دون غيره، والخوف والرجاء، وتضمن كذلك العبادة والكمال الروحي.

المبحث الثاني: الأثر الروحي للعبادة العملية، ويتضمن الدلالة الروحية للصلاة، وكذلك باقي العبادات كالصيام، والزكاة، والحج، وأثرها على الفرد والمجتمع.

وقد دونت في الخاتمة ما توصلت إليه من نتائج وتوصيات، وقد اعقبت الخاتمة بقائمة تضمنت أهم المصادر والمراجع التي استعنت بها.

تمهيد

من المعلوم، أن العبادات في جميع الأديان، وإن اختلفت هيئتها وتباينت شعائرها من دين لآخر، تصدر من رب واحد سبحانه، وتدعو جميعها دون استثناء إلى وحدانية الحق سبحانه، والخضوع والتذلل، وصرف العبادة له دون غيره، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى تدعو إلى صفاء النفس، وإشباع الروح، وترويضها على خلع الهوى، ومحاربة الشيطان، وكبح الشهوة، والرجوع إلى الفضيلة، وما ذلك إلا لتحقيق الغاية العليا من هذه العبادات، وهي التسليم لله سبحانه في تنفيذ الأوامر واجتناب النواهي، والوصول بعد ذلك إلى الخضوع لله تعالى، والقرب منه، والأنس به سبحانه.

وإذا كانت العبادات في حقيقتها تدعو إلى ما سبق الإشارة إليه، فإننا لا بد أن نفرق بين ظاهر العبادات العملية، وبين ما تعمقه تلك العبادات من تأثير في الروح والوجدان، وهذا العمق الروحي للعبادات لا يقل أهمية عن الناحية العملية لها.

فالصلاة والزكاة مثلاً لا يتحقق كمالها في الحركات العملية فحسب، بل لابد أن تتعمق في القلب، وتستولي

عليه، وتحدث فيه إصلاحات روحية، تكمن في صقله، وتهذيبه، وإصلاح أمره، فتنعكس تلك المعاني السامية على حياة المسلم بجميع تفاصيلها الدقيقة، فتنقله من الغفلة إلى اليقظة، ومن الشك إلى اليقين، ومن البعد إلى القرب، ومن حب الذات إلى حب الآخرين، ومن ثم تنعكس على المجتمع المحيط به، فتتحقق الفضيلة في أبهى صورها.

لهذا السبب دون غيره كانت جميع العبادات، التي فرضتها الأديان السماوية بصفة عامة، والإسلام بصفة خاصة تدعو في مجملها إلى صقل الروح، وقتل الهوى، ومخالفة النفس، وطرح البخل، والشح، والحسد، والنميمة وغير ذلك من الأخلاق التي لا يصح أن يتصف بها مسلم.

فإذا تحقق المسلم من كل ما سبق ذكره فقد أصاب كبد الحقيقة كما يقال، وجنى ثمار عبادته، وفاز بوعده سبحانه، وعندها نستطيع أن نعيش في مجتمع يخلو من الجريمة والرذيلة والفقر، ونكون بعد ذلك دعاة لهذا الدين، ويتحقق فينا قول الله تعالى ﴿**كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ**﴾[1].

المبحث الأول: ملامح العبادة في الإسلام

أولاً: مفهوم العبادة

1 . العبادة في اللغة

العبادة في اللغة بمعنى "الطاعة مع الخضوع، ويقال طريق معبد إذا كان مذللاً بكثرة الوطء، وبعيرٌ معبد إذا كان مطلياً بالقطران"[2] ومنها "العبدٌ الإنسان حراً كان أو رقيقاً والملوك كالعبد عبدون وعبيد وأعبد وعباد... والعبدية والعبودية والعبودة والعبادة: الطاعة"[3] ومنها "العبدية والعبودية والعبودة والعبادة: الطاعة، والمُعبَّد كمُعظَّم المذلل من الطريق، وتعبد: تنسك"[4].

وأصل "العبودية الخضوع والذل، والتعبيد التذليل"[5] لذلك يقال: "أعْبدَ فلان فلاناً أي جعله عبداً، ويقال للمشركين: عبدة الطاغوت والأوثان، وللمسلمين عباد يعبدون الله تعالى"[6].

وبناءً على ما سبق ذكره فإن العبادة والتذلل والخضوع، جميعها تصل إلى معنى متقارب، وتفيد نفس القصد، وهو الخضوع، والتذلل، والإذعان، والانقياد الكلي والطاعة المطلقة للمعبود سبحانه دون غيره.

2. العبادة شرعاً

لا تبتعد العبادة في الشرع عن مدلولها اللغوي، حين تجمع كمال المحبة والخضوع والتذلل والخوف من الله سبحانه، وترك كل فعل دنيء يكدر صفوها، ويذهب ثمرتها، وفي نفس الوقت لا يمكن أن تكون العبادة

---

(1)سورة آل عمران الاية (110)

(2) الأزهري (أبو منصور محمد بن أحمد) تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، نشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان، ط1 سنة 2001م. 138/2.

(3) الزاوي (الطاهر أحمد) مختار القاموس: نشر: الدار العربة للكتاب، ليبيا تونس، سنة 1980م مادة ع ب د ص 402.

(4) الفيروز بادي (مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب) القاموس المحيط، تحقيق مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة نشر: مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان، ط8 سنة 2005م باب الدال، فصل العين 1/ 322.

(5) الجوهري (أبو نصر إسماعيل بن حماد) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، نشر: دار الملايين بيروت لبنان ط4 سنة 1987م 2/ 503.

(6) ابن فارس (أبو الحسين أحمد) معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، نشر: دار الفكر سنة 1979م 4/ 206.

صحيحة، وتصعد بصاحبها إلى درجات الكمال، إلا إذا تحققت بدافع المحبة والشوق، حتى لا يبقى في القلب سوى الله سبحانه، فهي بهذا الوصف "اسم جامع لكل ما يحبه الله تعالى، ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة"[1].

وإذا كان الأمر كذلك فحقيقتها تكمن في فعل المكلف على خلاف هوى نفسه بالكلية، طمعاً فيه، وخوفاً منه وتعظيماً له سبحانه، على حد وصف الجرجاني (471 هـ) [2]

لذلك كانت العبادة نهاية ما يقدر عليه العبد من الخضوع، والتذلل، والانقياد التام للمعبود، والعمل بأمره، وترك ما نهى عنه تعظيماً له سبحانه، وهى بعد ذلك كله إخلاص العمل بكليته لله تعالى فيما أمر ونهى[3].

ولما كانت العبادة في مفهومها الدقيق تشير إلى ما سبق بيانه، فإنها لابد أن تجمع بين "غاية الحب بغاية الذل والخضوع، والعرب تقول: طريق معبد أي مذلل، والتعبد التذلل والخضوع، فمن أحببته ولم تكن خاضعاً له لم تكن عابداً له، ومتى خضعت له بلا محبة لم تكن عابداً له حتى تكون محباً خاضعاً"[4].

وحقيقة هذا الخضوع، لا يمكن أن يكون إلا نتيجةً من نتائج المحبة الكلية لله تعالى دون ريب ولا شك، والتي لا تصرف إلا لمستحقها سبحانه بعين الصدق، والالتزام والإخلاص، كاملةً دون نقص أو شبهة، وذلك لأن الإله وحده "هو المعبود الذي يستحق غاية الحب والعبودية والإجلال والإكرام والخوف والرجاء "[5].

ولهذا السبب، كان الأصل في العبادات أنها تؤدى امتثالاً لأمر الله تعالى، وأداءً لحقه على عباده، وشكراً على نعمائه، التي لا تعد ولا تحصى، وليس من اللازم أن يكون لهذه العبادات ثمرات ومنافع في حياة الإنسان المادية أو المعنوية، وليس من الضروري كذلك أن يكون لها حكمة يدركها عقله المحدود؛ لأن الأصل فيها ابتلاء لعبودية الإنسان لربه، وبها يقاس القرب من البعد، فلا يلزم العبد بمعرفة السر في كل تفصيلاتها فالعبد ليس له إلا طاعة مولاه وحسب [6].

ومن خلال ما سبق يستنتج الباحث: أن تلك المعاني والقيم الروحية، والأسرار الربانية، المعلومة وغير المعلومة في جميع العبادات الواردة في الإسلام، بكل تفاصيلها الجسدية والروحية، تقرر بلا شك العبودية الكاملة والمطلقة للخالق دون سواه، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى تحقق مصلحة المخلوق في الدنيا والآخرة من حيث القرب والبعد، وتنعكس بعد ذلك تلك المعاني على المجتمع الإسلامي في أبهى صوره.

ثانياً: الاستحقاق.

من المعلوم الذي لاريب فيه، أن الباعث الأساسي والرئيسي للعبادة بكل صورها وأشكالها هو استحقاق الله تعالى للعبادة دون غيره، فالمسلم حين يعبد الله تعالى، يحقق الغاية التي خلق من أجلها، والتي كانت سبباً حقيقاً

(1) ابن تيمية (أحمد بن حليم) مجموع الفتاوى، تحقيق: عامر الجزار، وأنور البار، نشر: دار الوفاء، المنصورة مصر، ط3 سنة، 2005م. 10/ 149.

(2) ينظر/الجرجاني (على بن محمد بن على) التعريفات، نشر: دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط1 سنة 1983م ص 146.

(3) ينظر/ السمرقندي (علاء الدين شمس النظر) ميزان الأصول في نتائج العقول في أصول الفقه، تحقيق: عبد الملك عبد الرحمن السعدي، نشر: وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، لجنة إحياء التراث العربي، العراق ط1 سنة 1411 هـ، 1/ 136 138.

(4) ابن القيم (محمد بن أبي بكر) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، نشر: دار الكتاب العربي، بيروت لبنان، ط3 1996م 1/ 95.

(5) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، مصدر سابق، 28/ 35.

(6) ينظر/ القرضاوي (د. يوسف) العبادة في الإسلام، نشر: مكتبة وهبة، القاهر مصر، ط6 سنة 1995م، ص217.

في وجوده من العدم، وهذا ما نلمسه بوضوح في قوله تعالى ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [1].

ولم يكن هذا الاستحقاق عبثاً ولا وليد محبة فحسب، بل هو لسطوة سلطانه الكامل على خلقه، وفيض فضله عليهم جميعاً مع كامل غناه عنهم، وعن قربهم منه، وعدمية حاجته إليهم، وضرورة حاجتهم له على الدوام، وهذا معنى قوله ﴿**وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ**﴾ [2] فنحن المحتاجون إليه سبحانه، والله هو الغني عن عبادتنا مها وصلت من درجات الكمال.

ولما كان هذا الاستحقاق له سبحانه دون غيره، وجب أن يكون "مقصود العبادات كلها التقرب إلى الله تعالى، بالقرب من وجوده وإحسانه للمختصين بعباده المؤمنين، وأن يعامل المتقرب إليه معاملة من تقرب إليه بالطاعة، والتعظيم، والخضوع والتفخيم"[3].

وما دام الأمر كذلك فإن العبادة في حقيقتها تغذية للروح بحب الله تعالى، والخوف منه والرجاء فيه، بصدق الإيمان، الذي يشعر صاحبه أن الملك التام لله دون غيره، حينها يتحقق صدق التوجه وسلامة القصد إليه دائماً، بما فرض عليه من قربات تحدد صدق الإنسان في دعوى الإيمان.

ولا بد أن نفهم أن هذا الاستحقاق الرباني المحض لا يخص العبادة، كونها تلك الرسوم والطقوس العملية فقط، بل يشمل الدين كاملاً من اعتقاد يصل بصاحبه إلى معرفة الله سبحانه.

لذلك حين يتحقق الاستحقاق فلا بد أن يتحقق معه الخضوع والذل التام، لأن الدين في حقيقته عبادة وطاعته وخضوع له سبحانه، وليس الأمر هكذا فحسب بل إن الدين كله بعد ذلك داخل في العبادة بلا شك[4].

والدين بهذا الوصف إذا نظر في ذاته، بل والعبادة بوصفها داخلة فيه، هو في جوهره الشعور الباطني، الذي يتعلق به المخلوق بخالقه دون شك، وقوامه المحبة لله وحده والطاعة لأوامره، والانتهاء عن نواهيه، بل إن كل ما يفعله العبد في علاقته بمعبوده، إن هو إلا ترجمة لهذا الشعور الباطني، الذي يربطه به[5].

والنتيجة بعد ذلك أن الاستحقاق بهذا المفهوم الدقيق، يحرر المتدين من الخضوع والمذلة لغير الله تعالى، وكذلك من الاستسلام والإذعان لغيره، حينها فقط تتحقق حرية الإنسان المطلقة من كل وهم، وخديعة، وزيف، يفسد عليه كمال توحيده لله تعالى، ويصل بهذا الحقيقة بعد ذلك إلى قوله تعالى:﴿**قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ**﴾[6] دون تردد أو ريب.

ثالثاً: الشكر

مما لا شك فيه أن أعظم أهداف العبادة وغاياتها، تكمن في شكر لله تعالى على نعمه التي لا تعد ولا تحصى، والشكر يعنى المجازاة على الإحسان والمعروف، لمن يقدم الخير والإحسان والرحمة، فهو بهذا الوصف رد الجميل والاعتراف بالفضل دون تردد.

---

(1) سورة الذاريات الآية (56).

(2) سورة آل عمران الآية (97).

(3) العز (بن عبد السلام)، مقاصد العبادة، تحقيق: عبد الرحيم أحمد، نشر: مطبعة اليمامة، حمص سوريا، ط1سنة 1995م، ص19.

(4) ينظر/ ابن تيمية (أحمد بن حليم) العبودية، نشر: المؤسسة السعودية القاهرة مصر، سنة 1987م ص 8، 9

(5) ينظر/الجزار (د. أحمد محمود) دراسات في التصوف الإسلامي، نشر: دار الوفاء الاسكندرية مصر، ط1سنة 2015م، ص 18.

(6) سورة الاخلاص الآية (1).

وحقيقة الشكر عند أهل العبادة: الاعتراف بنعمة المنعم على وجه الخضوع المطلق، وعلى هذا القول يوصف الحق سبحانه بأنه شكور ومعناه: أنه يجازي العبادة على الشكر، فسمي جزاء الشكر شكراً، وجزاء السيئة مثلها.

ويحتمل أن يقال: حقيقة الشكر الثناء على المحسن بذكر إحسانه، فشكر العبد لله تعالى ثناؤه عليه بذكر إحسانه إليه، وشكر الحق سبحانه للعبد ثناؤه بذكر إحسانه له، ثم إن إحسان العبد طاعته لله تعالى، وإحسان الحق إنعامه على العبد بالتوفيق للشكر له [1].

ولما كان المعنى الظاهر للشكر: هو الكشف والإظهار يقال: شكر وشكر إذا كشف عن ثغره واظهره ،فنشر النعم وذكرها، وتعدادها باللسان من الشكر، فإن باطن الشكر أن تستعين بالنعم على الطاعة، ولا تستعين بها على المعصية فهو شكر النعمة [2] وهذا هو المعنى الدقيق لصلاته صلى الله عليه وسلم حتى تورمت قدماه فقيل له: إن الله قد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال: " **أفلا أكون عبْداً شكوراً**"[3].

والمهم بعد ذلك أن يرى المتعبد أن جميع المقضي له به نعماً توجب الشكر، غير ما يضره في دينه؛ لأن الله لا يقضي للعبد المؤمن شيئاً إلا وهو نعمة في حقه، فإما عاجلة يعرفها ويفهمها، وإما آجلة بما يقضي له المكاره، فإما أن تكون درجةً له أو تمحيصاً، أو تفكيراً، فاذا علم أن مولاه أنصح له من نفسه، وأعلم بمصالحه وأن كل ما منه نعم فقد شكر[4] ولا يعني ما سبق حقيقة الشكر، بل لابد أن يعلم العبد أن الشكر نعمة في حد ذاتها، تستوجب الشكر[5].

ونتيجة لما سبق ذكره كما يبدو للباحث، أن الشكر في حد ذاته عبادة تستوجب الشكر، لما للخالق من نعم لا تعد ولا تحصى، وأن أعظم هذه النعم أن يوفق العبد لتأدية عبادته بدقة متناهية، وعلى الوجه المطلوب منه، فيتحقق له القرب منه سبحانه ويتلذذ بالأنس والمناجاة، ويتحقق من مقامات الترقي، فتصفو النفس، ويزدهر الوجدان، وتشرق الروح، ويتحقق المراد.

رابعاً: مخالفة النفس

ومخالفة النفس: تعنى حملها على المشاق البدنية ،ومخالفة مرادها، وكسر شهواتها على كل حال، ثم الصبر على ذلك كله [6] ودلينا على ذلك قوله تعالى ﴿**وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ**﴾[7] وكذلك قول الرسول ﷺ (المجاهد من جاهد نفسه لله عز وجل)[1].

---

(1) ينظر/ القشيري (أبو القاسم) الرسالة القشيرية، تحقيق: د. عبد الحليم محمود، د. محمود الشريف، مؤسسة دار الشعب مصر، ط1 سنة1409ه 1989م ص137.

(2) ينظر/ السهروردي (شهاب الدين) عوارف المعارف، تحقيق د. عبد الحليم محمود ود. محمود بن الشريف، مكتبة الإيمان، القاهرة مصر، ط1 سنة، 2005م، ص 476.

(3) اخرجه: البخاري في صحيحه، أبواب التهجد، باب قيام النبي صلى الله عليه وسلم، برقم: (1130) 50/2، وكتاب تفسير القرآن، سورة الفتح، باب ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وماتأخر: برقم (4836) 135/6، وكتاب الرقاق، باب الصبر عن محارم الله (6471)، 99/8 دار طوق النجاة بيروت ط1سنة 1422ه.

(4) ينظر/ السهروردي، عوارف المعارف، مصدر سابق ص 478.

(5) ينظر/ السهروردي، عوارف المعارف، مصدر سابق ص 478.

(6) ينظر/ ابن عربي (محي الدين): الكلمات التي تداولتها الصوفية، تحقيق: محمد عبد الرحمن الشاغول، نشر:دار جوامع الكلم ،القاهرة مصر، د. ت، ص 51. 51.

(7) (العنكبوت:69)

ولا شك أن مخالفة هوى النفس من الصعوبة بمكان، لأنه شيء ملازم متكرر لا ينفصل عن صاحبه، وكيف لا يكون كذلك، وفيه قطع مألوفات النفس ومخالفة هواها، وهجرانها رغبة في سلوك سبيل الصالحين، فمن أمتثل أمر الله عز وجل في الدارين، حصلت له المجازاة في الدنيا والآخرة، وفاز بقرب الله[2].

وبناءً على ذلك وجب على المسلم أن يخالف هوى نفسه في طريق الحق عز وجل، وأن يتحمل مشاق وتبعات تلك المخالفة، والتي ليست بالأمر السهل، لكي يصل إلى أسمى وأعلى درجات الترقي [3].

ومما لاشك فيه أن النعمة المرجوة من هذه المخالفة هي الخروج من النفس بكل ما فيها، وذلك لأن النفس أعظم حجاب بين الخالق والمخلوق، فالمتعبد الحقيقي هو من دفن نفسه، وقطع شهواتها وحظوظها، فلم يبق له حظ، فمخالفة النفس ومفارقة شهواتها يجعل قلب الإنسان مع الله، وفى الله ولله سبحانه، وكأنه ميت حي نفسه ميتة مع الخلق، وقلبه مع الله تعالى عامر، فإذا سكن القلب إلى الدنيا وشهواتها، وملذاتها، فقد غاب عن ساحة الحق، وخالف المراد من وجوده[4].

وبما أن الأمر كذلك فإن المتعبد الحقيقي، كلما خالف نفسه وقتلها بسيف المخالفة أحياها الله، فإذا نازعته، وطلبت منه الشهوات واللذات المحرمة، حينها عليه أن يعود إلى المخالفة والمسابقة، ليكتب له الثواب الدائم، وهذا معنى قول الرسول ﷺ (رَجَعْنَا مِنْ الجِهَاد الأَكْبَرُ إلى الْجِهَاد الأَصْغَر)[5] أراد بذلك مخالفة النفس لدوامها واستمرارها على الشهوات واللذات، وانهماكها في المعاصي.

وهذا معنى قوله تعالى ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [6] فأمر الله نبيه بالعبادة وهى مخالفة النفس، لأن العبادة كلها تأباها النفس وتريد ضدها إلى أن يأتيه اليقين وهو الموت[7].

ويلحظ الباحث أن مخالفة النفس أصل من أصول السلوك إلى الله تعالى، وأن المعنى الحقيقي لتلك المخالفة يتحقق في العبادة الكاملة، لذلك لايزال المؤمن يخالف هوى نفسه، ويجتهد في طهارة باطنه من كل ما يباعده عن الحق سبحانه، ويعمل على تصفية نفسه، بكل أنواع العبادات مخلصاً لله في أقواله وأفعاله، حتى يتحقق له القرب من الله سبحانه، وتظهر عليه علامات الرضا.

ومما لاشك فيه أن مخالفة هوى النفس يصل به العابد إلى التوازن الطبيعي والاستقرار النفسي، كما أنها تبعده عن كثير من العقد السلبية، وتحقق له التدين الحقيقي، والثقة في الله وكمال اليقين فيه سبحانه، ولا أدل على ذلك من قوله تعالى مخاطباً نبيه ﷺ ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[8].

---

(1) أخرجه ابن حبان في "صحيحه" (10 / 484) برقم: (4624) مؤسسة الرسالة بيروت لبنان ط3 سنة 1414هـ، 1993م

(2) ينظر/ الجيلاني، (عبد القادر) الفتح الرباني والفيض الرحماني، نشر: ،مكتبة أم القرى، القاهرة مصر، د.ت، ص 83.

(3) ينظر/ مجالس شيخ الإسلام عبدالقادر الجيلاني، تحقيق: ميعاد شرف الدين الكيلاني، نشر: دار الكتب العلمية، بيروت لبنان،ط1 سنة 2010م، ص 119.

(4) ينظر/أبو الإسعاد (د. سعد):البيان الحازم أن التصوف لتزكية الإنسان نهج لازم، نشر: شركة الفتح، القاهرة مصر، ط3، سنة 2007 م، ص 364.

(5) أخرجه الْبَيْهَقِيّ في كتاب الزهد، فصل في ترك الدنيا ومخالفة النفس والهوى، برقم (373) ص 165 وقال هذا أسناد ضعيف كتاب الزهد للبيهقي، تحقيق: عامر أحمد حيدر، نشر: مؤسسة الكتب الثقافية بيروت، ط3 سنة 1996 م وضعفه العراقي في تخريج الأحياء ينظر/ العراقي (أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم)، المغني عن حمل الأسفار في الأسفار، في تخريج ما في الإحياء من الأخبار، دار ابن حزم، بيروت لبنان، ط1 سنة 1426 هـ، 2005 م، ج1/ ص 882.

(6) (الحجر: 99).

(7) ينظر/ الجيلاني (عبد القادر): فتوح الغيب، تحقيق: أبو سهل نجاح عوض، نشر: دار المقطم، القاهرة مصر، ط1سنة، 2007 م، ص 127.

(8) الذاريات (56).

وإضافة إلى ذلك كله فإن تلك المخالفة وسيلة للهداية القلبية إلى الله تعالى، وهي من أهم المناهج العملية وأصول التربية الروحية في طريق الوصول إلى الله سبحانه.

ويخلص الباحث إلى أن الصبر ومخالفة هوى النفس هو أقدس مكان تجتمع فيه مكارم الأخلاق، عند العابد ليبقى مع الله في جميع أحواله، وما ذلك إلا لأنها تقطع النفس على المألوفات والرغبات وتبعدها عن الشهوات والملذات، وتحملها على كسر هوى النفس في جميع الأحوال، وتصفيها من كل حال يحول بينها وبين مرادها وهو الله سبحانه وتعالى.

خامساً: الخوف والرجاء

لا يمكن باي حال من الأحوال أن نتصور العبادة في أكمل وجوهها، دون ظهور ملامح الخوف والرجاء على المتعبد، وذلك لأن الخوف والرجاء للإيمان كالجناحين، ولا يكون العبد خائفاً إلا وهو راجٍ، ولا راجياً إلا وهو خائف، لأن موجب الخوف الإيمان، وبالإيمان رجاء، وموجب الرجاء الإيمان، ومن الإيمان خوف[1].

والخوف والرجاء لا يغني أحدهما عن الآخر، ولا يتحقق خوف دون رجاء ولا العكس، وهما في نفس الوقت من أوضح ملامح العبادة، وبهما يتحقق حال السالكين إلى الله تعالى في جميع الأديان، فمن ألزم قلبه في الحرات كلها أن الله تعالي يراه، رجع عن كل ما يكره بعون الله تعالى، فطهر قلبه واستنار وسكن[2] وهذا هو المراد من قوله تعالى ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[3]

ولهذا السبب كان الخوف والرجاء من كمال الإيمان، وأحد أهم دعائمه الأساسية، وهما بعد ذلك سبب الترقي إلى المقامات العلية، وبهما تخاف النفس هواها وتنصاع إلى الأوامر والنواهي دون تردد أو ريب، ودليلنا على ذلك قوله تعالى (**وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى ۝ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى** [4] .

ولا يقف الأمر عند هذا الحد؛ لأن "الخائف الحقيقي هو من يخاف من نفسه أكثر من الشيطان"[5]، وحين يتحقق ذلك عند العبد، يصل به بعد ذلك إلى الخوف من الله وحسابه وأليم عقابه، فيحتقر الدنيا بكل ما فيها، وتنفر نفسه منها ،وتشمئز من كل معصية تكدر صفوها، وتبعدها عن ربها، ومن ثم يدعوه إلى المواظبة على العمل والعلم في ونفس الوقت، لينال رتبة القرب والرجاء في الله تعالى، وعندها يتحقق الرجاء فلا يرجو من الله شيئا سوى الله سبحانه [6].

لذلك كان الخوف في مجمله هو سوط الله تعالى، يقوم به الشاردون عن بابه الذاهبون عن الطريق إليه، فمن خاف المقام بين يدي ربه سبحانه يوم العرض ونهى النقس وردها عن غيها وهواها كانت الجنة هي المأوى[7].

---

(1) ينظر/السهروردى، عوارف المعارف، مصدر سابق، ص 479.

(2) ينظر/ الخراز (أبو سعيد) الطريق إلي الله، تحقيق: عبد الحليم محمود، نشر: مطبعة حسان القاهرة، مصر سنة1975 م ص 55.

(3) آل عمران 175.

(4) النازعات:40-41

(5) السهروردي، عوارف المعارف، مصدر سابق، ص 479.

(6) ينظر/ الطوسي (أبو نصر عبد الله السراج): اللمع في تاريخ التصوف، تحقيق: كامل مصطفى الهنداوي، نشر: دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط2 سنة 2007م. ص 57.

(7) ينظر/ الديربى (عبد العزيز) طهارة القلوب والخضوع لعلام الغيوب، نشر: دار الفجر للتراث، الأزهر الشريف، مصر، ط 2 2004م، ص 99.

وعلامة الخوف تكمن في هيجان القلب وخفقانه عند الشعور بالذنب، وشدة الذعر من الترهيب، والعودة بسرعة إلى باب الله سبحانه[1] وكذلك من علامات الخوف، ألا يعلل نفسه بسعي التسويف، والهروب من التوبة، ومماطلة الرجوع إلى حضرة الحق[2] حينها فقط يتحقق للمؤمن المراقبة والخشية لله تعالى، وهو يقف مع الله سبحانه فارغاً من الدنيا وما فيها، متوجهاً بقلبه وكليته إلى مولاه ،يناجيه بما هو أهله، خائفاً من أليم عقابه، طامعاً في رحمته، طالباً منه السعادة والسرور.

وهذا هو المراد من قوله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾[3] أي اعبدوا على رجاء أن تتقوا وتحسنوا إليه سبحانه ،فتنجوا بسببه من أليم العذاب، ولعله للترجي والأطماع، ولكنه أطماع من كريم، فيجري مجرى وعده المحتوم وفاؤه لعباده[4]

والخوف والرجاء بعد كل ما ذكر يمثلان حقيقة العبادة، فالأول يزجر النفس، ويضبط سلوكها، ويوجهها إلى فعل الخيرات، وترك المنهيات، والثاني يمنحها الطاقة الإيجابية، التي تحفز الوجدان، وتوقظ الضمير، وتصفى النفس، وتعلقها بوعد الله الحق.

سادساً: العبادة والكمال الروحي.

الإنسان بطبعه لا يمكن إلا أن يكون مزيجاً مما في الكون من حيوانية ،ومن طبيعته كإنسان، وقد وهب العقل ليميز النافع والضار، ورزق الهداية عن طريق الدين، الذي هو ضرورة فطرية أيضاً من جهة الاعتقاد ومنهج تعليمي للإرشاد بغية الوصول للحق سبحانه[5].

ولما كان الإنسان مكون من مادة وروح، والمادة تمثل الجسد، وقد وجد حاجته فيما يدور حوله من عناصر المادة، فإن الروح لا تجد اشباعاً لحاجتها، ولا كمالاً في ذاتها إلا بالقرب من الله تعالى، بتحقيق العبادة الكاملة بكل تفاصيلها.

والعبادات وإن كانت في الأصل شعائر تعبدية، بكل ما تشمله من رسوم واجبة الأداء، وإن قصر فهم المتعبد لغايتها ومرادها في تربية الروح، إلا أن العلم بهذه المعاني الروحية ،يضيف للمتعبد فخامة أمرها، والوقوف على مرادها، ومعناها ،ومن ثم قطف ثمارها، ولا يكون ذلك لذتها، بل لأنها أصل الدين، وأهم ركائزه بوصف ممثلة للجوهر الباطن، لأن الأعمال الظاهرة التي تدخل في الدين لا تنفع بدون هذه الأعمال الباطنة [6].

وإذا كان هذا هو أصل العبادة في معناها الدقيق، فإن ذلك يعني أن العبادة بجميع صورها الباطنية، لا تنفصل عن هذا الجانب الروحي للإنسان المؤمن كونها أساس الدين، ولا ينفك عن كل صورها وأشكالها، بحيث يكون مفروضاً على المؤمن تحقيق الكمال الروحي في ذاته، لأن الله كل ما فرضه من الأعمال يستوجب التحلي

(1) ينظر/ الطوسي، اللمع، مصدر سابق، ص 56.

(2)ينظر/ الطوسي، اللمع، مصدر سابق، ص 56.

(3) (البقرة 21) .

(4) ينظر/النسفي (أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمد) مدارك التنزيل وحقائق التأويل، تحقيق يوسف علي بديوي، نشر: دار الكلم الطيب، بيروت لبنان، لبنان، ط1 1998م 1/ 62.

(5) ينظر/الفاسي (علال) مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها، نشر: دار الغرب الإسلامي ط 5 سنة 1993م ص 66

(6)نظر/ابن تيمية (أحمد بن حليم)، التحفة العراقية في الأعمال القلبية، نشر: المكتبة السلفية القاهرة مصر 1399 هـ، ص 42.

بمكارم الأخلاق في جميع أحوال المتعبد[1].

ولما كان الأمر كذلك فإن الدين في حقيقته يدعو إلى تقوية هذا الجانب الروحي، والذي يدعو إلى دعم الفضيلة عند المسلم، ومن ثم في المجتمع الإسلامي.

ولهذا السبب كذلك كانت التقوى والعفة والفضيلة هي الحاجز الوحيد بين المتعبد وبين المعاصي أو التمرد على الدين، حينها تحرر الروح من ظلمات الجسد، وتنطلق في أفق الرحمة والعطاء، فتتحقق إنسانية الإنسان في أبهى صورها.

وخلاصة ما سبق ذكره يصل بنا إلى حقيقة مفادها أنه ليس المقصود في الإسلام الاهتمام بالظاهر دون الباطن، بل لابد من صلاح القلب قبل كل شيء، فإذا خلص القلب من كل فعل سقيم، فإنه بلا شك يتطهر من الداخل، وتنعكس تلك الطهارة القلبية بعد ذلك على ظاهره، والكمال الروحي الذي ننشده لا يزيد عن كونه مراقبة للنفس، ومقاومتها لكل فعل قبيح، يفسد عليها علاقتها بربها وعلاقتها بالمجتمع.

المبحث الثاني: الأثر الروحي للعبادات العملية

أولاً: الصلاة

من المعلوم الذي لاريب فيه أن الصلاة عبادة قديمة، عرفتها جميع الأديان السماوية، ودعت أتباعها إلى المحافظة عليها، والوقوف عند معناها، وفى الإسلام بالذات لها خصيصة تميزها عن غيرها من صلوات الأديان السابقة، فهى تعتبر عمود الدين وذروة سنامه، وهي إحدى أهم ركائزه الأصلية دون خلاف، وقد لا يتحقق الإسلام في أدق مفهوم له، إلا بالمحافظة عليها على أكمل وجه، لذلك كانت الصلاة أول ما فرض على الرسول صلى الله عليه وسلم من العبادات، وهي بعد ذلك من أهم وصاياه لأمته في أواخر حياته الشريفة.

ولهذا السبب دون غيره كان التفريط فيها ظلم عظيم للمسلم، يوجب القطيعة والسخط والبعد عن الله تعالى، ويهدد حياة المسلم في الدنيا والآخرة، بل قد تكون سبباً في مروقه من الدين بالمرة على ما ذهب إليه بعض الفقهاء.

لأجل ذلك تظافرت الآيات القرنية، في بيان فرضيتها، وفضلها، وعلو منزلتها بين العبادات، وهذا المراد من قوله تعالى ﴿ **وَأَقِيمُوا الصَّلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ** ﴾، كما أنها في نفس الوقت تعتبر ملازمةً للمؤمن في جميع أحواله، ومحاطة بجميع أفعاله، وهذا يظهر بوضوح في قوله تعالى: ﴿**إِنَّ الصَّلاَةَ كَانَتْ عَلَىَ الْمُؤمِنِينَ كِتَابَاً مَوقُوتَاً**﴾ ([2]) وهي فوق ذلك كله تعتبر علامة دالةً على صدق الإيمان، وسلامة المنهج، كما في قوله تعالى: ﴿**الّذِينَ يُؤمِنُونَ بِالغَيبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَمِمَّا رَزَقنَاهُمْ يُنْفِقُونَ**﴾[3].

والمهم بعد ذلك أن الصلاة موعد لقاء المحبوب والتلذذ بأنسه ومناجاته، والوقوف بين يديه سبحانه، وقوف عبد أمام معبود، بكل معانى الخشوع، والذل الظاهرة منها والباطنة، تحقيقاً لقوله تعالى ﴿**إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا**

(1) ينظر/عبده (الامام محمد) رسالة التوحيد، نشر: مطبعة النصر للطباعة، القاهرة مصر، 1969م ص 149.

(2)- [النساء: 103] .

(3)- [البقرة: 3].

إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ [1] أي "لذكري يعني لتذكرني فان ذكري أن أعبد ويصلى لي"[2].

وهذا من أعظم مواقف الصلاة ومراداتها، بل ومن أدق معانيها الروحية، وفيه يشعر المؤمن بكمال عظمته سبحانه، وسطوته على الوجود، حين لا يبقى في قلب المصلي غيره، ولا يعول على سواه.

ولكن لابد أن يشار إلى أن حقيقة ما نعرضه من أبعاد روحية للعبادات في الإسلام، لا يبعدنا عن مواصفات الفقهاء لها، وتطبيقها بدقة متناهية، إذ لا يمكن بأي حال من الأحوال أن تحقق العبادة غايتها، وأهدافها المرجوة، دون تمام صحتها على ما أقره الفقهاء من شروط وجوب، وصحة، وأركان، وفرائض، وسنن، وهكذا.

وفى هذا الصدد يمكن الوقوف على حقيقة مفادها، أن الصلاة تمتاز عن غيرها من العبادات كونها تجمع بين الطهارة، والصمت ،والاستقبال للقبلة بالتكبير، والقراءة، والقيام، والركوع، والسجود، والتسبيح، فهي في حقيقتها مجموعة من العبادات في وقت واحد[3] "فبالصلاة: تحقيق العبودية، وأداء حق الربوبية، وسائر العبادات وسائل لتحقيق سر الصلاة"[4].

وما دام الأمر كذلك فمن الطبيعي أن تفيض الصلاة من قلب خاشع لجلال الله تعالى وعظمته، فكيان المؤمن كله ووجدانه جميعه، وهو قائم في محراب الصلاة، مشتمل عليه هذا الجلال مستولية عليه تلك الرهبة، ومن أجل هذا كان لتلك الصلاة الخاشعة الضارعة، أثرها العظيم في إيقاظ مشاعر الخير في المصلين، وفي تصفية نفوسهم من وساوس السوء[5].

وليست الصلاة كما قد يبدو بالأمر السهل أو الهين، بل يتطلب الأمر ملازمةً ودقةً في أدائها، وصبر عليها، لأن التكليف لابد وأن يشق على الأنفس، التي تتطلع إلى الخمول، والكسل، واللهو، ومخالفة الحق، والصلاة خروج عن كل ما سبق، والقيام في حضرته سبحانه، وهذا هو المراد من قوله ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ﴾(6).

ويزيد الأمر توكيدا بما ورد في قوله تعالى﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾(7) وذلك لعظم أمرها، وعلو شأنها، ومكانتها السامية بين العبادات، وما تعود به من فوائد يصعب حصرها إلى يوم الدين.

فإذا طرق باب الصلاة، نجد الطهارة أول عتبة في سلم الوصول، بقسميها المحسوس والمعنوي الممثل للروح والقلب، وعندما نقف مع قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنذِرْ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ (8) نرى جمهور المفسرين يؤكدون أن المراد بالثياب في هذا الموضع القلب لا غير، لما يحتويه من معانى رقيقة، وأن المراد بالطهارة

---

(1)- [طه 14] .

(2) الرازي (أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن) مفاتيح الغيب، نشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان، ط3 سنة 1423 ،20/22.

(3) ينظر/ السكندري (ابن عطا الله): التنوير في إسقاط التدبير، تحقيق: موسى محمد على، عبد العال العربي نشر: دار التراث العربي، القاهرة مصر، سنة 1973م ص 214.

(4) السهروردي، عوارف العارف، مصدر سابق، ص330.

(5) ينظر/ الخطيب (عبد الكريم يونس) التفسير القرآني للقرآن، نشر: دار الفكر العربي القاهرة مصر د.ت 111/9.

(6)- [طه: 132] .

(7) - [البقرة: 45] .

) (8 - [المدثر:1]

هي الطهارة المعنوية بجميع صورها وأشكالها المنافية للرذيلة، والمقاومة لها مهما كان صنفها أو نوعها(1).

وفي هذا الصدد قد يصح القول: أن كل أعضاء الإنسان الحسية، كما يلزمها الطهارة الظاهرة من الدنس والنجس، فكذلك يلزمها الطهارة الباطنة، بكل مفهومها ومعناها، طهارة من الكذب، والغش، والريا، والزنا، وغير ذلك كثير[2].

ولما كانت الطهارة المعنوية لازمةً من لوازم العبادة، بل وثمرة مرجوة من ثمارها بعد ذلك، فإنها لا تلبث إلا أن تكون علامة دالة على محبة المعبود سبحانه لعبده، ولا أدل على ذلك من قوله تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ (3) .

وبناءً على ما سبق ذكره يتضح جلياً دون لبس، أن الطهارة بهذا المفهوم بالذات، لا يراد بها الطهارة من النجاسات والأوساخ الظاهرة وحدها، بل ويراد أيضاً بها الطهارة من الأوساخ الخلقية الباطنة، وليس ببعيد أن يكون المراد من الطهارة بهذا المعنى الأخير هو الذي أشار إليه الحق تعالى لما قرن محبته للخلق بهذه الطهارة متلازمة مع التوبة (4)

وإذا كانت الصلاة من بداية أمرها تحث على طهارة الباطن، وإخلائه من كل شائب، بحسن القصد وسلامة السريرة، فإنها لابد أن تكون بحضور القلب مع الجسد؛ لكي يتحقق الخشوع ظاهراً وباطناً(5) ؛لأن الصلاة ترتبط ترتبط بالخشوع، وحضور القلب دون غيره (6) ،والخشوع بعد ذلك علامة الصدق، وصلاح الأمر، وعنوان الفلاح، الفلاح، وسمة الصادقين المقربين من الله تعالى، كما في قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴾ (7).

ويبقى السجود في الصلاة بعد ذلك كله أعظم مظهر يظهر فيه ذل العبد لربه، وانكساره له سبحانه، حيث يضع المسلم على الأرض أشرف ما في جسده، وليس هذا فحسب، بل أن السجود يمثل مكانة القرب، ومحل الأنس بين الخالق والمخلوق، كما في قوله تعالى: ﴿كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾ (8)

فإذا تحقق العابد من كمال عبوديته لله في الصلاة، فقد وصل إلى مراده وتلذذ بمناجاة محبوبه، حينها فقط تصعد الروح إلى أنس الله تعالى، وتفيض على قلبه الأنوار، وتظهر عليه سمات الصلاح والفلاح، وتكون الصلاة بالنسبة له موعد للقاء الحبيب، والتلذذ بوجوده، ومنها إلى أعلى درجات الإيمان، وهي أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك.

وحقيقة ما سبق ذكره بدايةً ونهايةً يؤكد على أن طهارة الظاهر تكون بالماء، وطهارة الباطن بالرجوع الى الله

---

(1) ينظر/ ابن القيم (أبو عبد الله محمد) إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، نشر: دار التراث العربي القاهرة مصر، ط1 سنة 1983م 1/ 50.

(2) ينظر/ ابن القيم (أبو عبد الله محمد) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، علق عليه محمود حسن ربيع، نشر: مكتبة حميدو الاسكندرية مصر ط 3 1979م ص 351.

(3)- [البقرة: 222]

(4) ينظر/الجزار (د. أحمد محمود) دراسات في التصوف الإسلامي، مرجع سابق، ص 24.

(5) ينظر/ المرجع السابق، ص 30.

(6) ينظر/ الغزالي:(أبي حامد محمد بن محمد) إحياء علوم الدين، نشر: دار المعرفة بيروت لبنان، د.ت 1/ 159.

(7)- [المؤمنون : 1]

(8)- [العلق: 19]

تعالى، وترك كل ما سواه؛ لكى يصح السلوك ويتحقق القرب، لأن طهارة القلب من كل ما يكدر صفوه تصل بنا إلى صحة الصلاة، ومن ثم المعرفة بالله تعالى[1].

ويخلص بعد ذلك كله إلى أن الصلاة هي أول فريضة في الإسلام، بل هي عموده وركيزته الأساسية، وبها يتحدد إيمان العبد، ومنها تنطلق رحلته الروحية في جميع أركانها وحركاتها، ويتحقق بعد ذلك مراده، لذلك لا يقتصر دورها على ثواب وعقاب، بل هي أبعد من ذلك، حين تسمو بها الروح في أفق السعادة، فتخرج من ظلمات المادة إلى نور الروح، ومن الشك إلى اليقين، حتى تصبح بعد ذلك سر السعادة وموعد المحبوب، حينها فقط يتحقق الهدف منها، فتكون شغل العبد الشاغل، وراحته التي لا تفارقه، وملجأه عند الشدائد والمدلهمات، حينها يتحقق العبد من قوله صلى الله عليه وسلم (يَا بِلَالُ أقِمْ الصَّلَاةَ أرِحَّنا بِهَا)[2].

ثانياً: الزكاة

تعتبر الزكاة في المرتبة الثانية بعد الصلاة مباشرةً ،ولمكانتها السامية، وعظيم أثرها في تطهير النفس من الدنس والبخل، فقد حث الإسلام عليها في قوله تعالى: ﴿ **وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ** ﴾ [3] .

وكذلك قوله تعالى: ﴿**خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا**﴾[4]، بل وبين الحق سبحانه وتعالى مستحقها في المجتمع عند قوله تعالى ﴿ **إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ**﴾ [5]

وهي في نفس الوقت علامة دالة على صدق السلوك، وسلامة المنهج عند المؤمنين، وهذا مراد قوله تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ**﴾ [6]

وما دامت الزكاة من ثوابت الإسلام، وأحد فروضه التي لا اجتهاد فيها، فقد توعد الله من تركها أو تحايل في إخراجها بالعذاب الأليم، بدليل قوله تعالى ﴿**وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالفِضَّةَ وَلاَ يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ**﴾ [7] .

والمتأمل في مضمون الزكاة الروحي عند وقوفه على قوله تعالى: ﴿**خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا**﴾ [8] يلاحظ أن مردود الزكاة يعود إلى "تطهيرهم بها من دنس البخل والطمع، والدناءة، والقسوة على الفقراء البائسين، وما يتصل بذلك من الرذائل وتزكي أنفسهم بها: أي تنميها وترفعها بالخيرات والبركات الخلقية والعملية،

(1) ينظر/ الهجويري، (أبو الحسن على بن عثمان) كشف المحجوب، ترجمة: د. إسعاد عبد الهادي قنديل، دار النهضة العربية بيروت لبنان، ط سنة 1980م. 5 /543.

(2) أخرجه أبي داود في سننه، كتاب الأدب، باب في صلاة العتمة، برقم (4985) 338/7 قال الألباني :حديث صحيح ينظر : صحيح وضعيف السنن أبي داود (1/ 2) كتاب سنن أبي داود، تحقيق : شعيب الأرنؤوط، محمد كامل، نشر: دار الرسالة العالمية، ط1 سنة 2009 ميلادي .

(3) – سورة البقرة: الآية (43)

(4) – سورة التوبة الآية (103)

(5) –سورة التوبة: الآية (60) .

(6) - سورةالبقرة: الآية (4)

(7)- سورة التوبة: الآية (34)

(8)- سورة التوبة: الآية (103)

حتى تكون بها أهلا للسعادة الدنيوية والأخروية"[1].

وإذا كانت الزكاة من بداية أمرها كالصلاة تدعو إلى تطهير، وتزكية النفس، والسمو بها، فإنها في الوقت نفسه وجه من وجوه البر، لأن "الأغنياء حين يعطون الفقراء أموالهم، يفضلونهم على أنفسهم، ويعطونهم ما هم في أشد الحاجة إليه، وما ذلك إلا لأن الله عصمهم من الشح، والبخل المهلك، الذي يدنس النفس، ويمنعها من الخير والبر"(2).

وزيادة على كون الزكاة تفيد تزكية النفس والرقي بها حين تلمس شعور الفقير، وترفع عنه الحرج، فإنها تفيد معنى روحي لا يقل أهمية عما سبقه، حين تفيد شكر المنعم على النعمة، ودلينا على ذلك قوله تعالى ﴿ **وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ** ﴾ [3] .

وما دامت الزكاة هي في أصلها شكرٌ لله على نعمه، فهي منه وإليه سبحانه، وبهذا المفهوم الدقيق، وجب على صاحبها أن يعطيها من أجود ما يملك ؛لأن الملك للمالك الحقيقي دون سواه ،وما ذلك إلا تحقيقاً لقوله تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ﴾ (4) .

وحقيقة ما سبق ذكره، هو أن الزكاة في مفهوم الإسلام لا تعني صرف المال لسد الحاجة فحسب، بل هي بعد ذلك تحقق أسمى معاني الإنسانية في المجتمع، وهي كذلك أقوى روابط الأخوة بين أفراد المجتمع حين تزرع المحبة، والمودة، والوئام والتكافل الاجتماعي بجميع صوره وأشكاله.

زد على ذلك أنها تغرس حب الآخرين، وتطرح الكثير من أمراض القلوب كالشح والبخل، والأنا، وتحفظ المجتمع من الجشع، والطمع، وانتشار الجريمة، والفقر، وهذا هو السر الروحي في مفهومها والبعد المعنوي لها.

ثالثاً الصيام

الصيام من العبادات القديمة التي فرضت على البشر، كما في قوله تعالى:﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾ [5] وهو في عرف الفقهاء الإمساك عن شهوتي البطن والفرج، من طلوع الفجر الصادق إلى غروب الشمس، وبهذا المعنى فالصيام في عمومه ترك الشره على الطعام، وتقليله بعد الإفطار، لا **الجوع** المفرط الذى يضر بالمزاج، ولا الشره على الطعام، الذى يفسد نظام المعدة[6] ومن ثم كان له الأثر الكبير والفعال في إصلاح القلب، والقالب في نفس الوقت.

ولا يمكن أن يتحقق الصيام إلا **بصوم** الجوارح عن جميع الآثام الظاهرة منها والباطنة، لأن الصوم يدعو إلى ضبط الظاهر والباطن في نفس الوقت، كمنع النفس عن الطعام ثم كف النفس عن الاهتمام بغيره سبحانه[7]

---

(1) رضا (محمد رشيد بن على) تفسير القرآن الكريم (تفسير المنار) نشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة 1990م، 11 /20.

(2) المراغي (أحمد بن مصطفى) نشر: مكتبة ومطبعة مصطفى الحلبي وأولاده، مصر د ت، 42/28.

(3) – سورة الإسراء : الآية (67)

(4)- سورة البقرة الآية (267)

(5) – سورة البقرة: الآية (183)

(6) ينظر/ المزيدي (أحمد فريد): أبو العلمين القطب الكبير السيد أحمد الرفاعي وأصول الطريقة الرفاعية، دار كتاب ناشرون، بيروت لبنان،ط1 سنة 2013م، ص 258.

سبحانه[1]

لذلك لابد للصائم أن يحقق الصيام في جميع جوارحه، فصيام العين ألا ترى بها ما يغضب الله تعالى ويبعدك عن ساحته، وصيام القلب ألا يحوي غيره سبحانه، وصيام اللسان ألا يفتر عن ذكره، ولا ينشغل بسواه، وصيام الرجل ألا تذهب إلى مكان يكره الله تعالى، وصيام البدن ألا يقف على غير بابه، ولا يقصد غير جنابه سبحانه.

وما لم يتحقق الصائم بصومه بهذه الصفة التي ذكرنها سابقاً، فقد غاب جوهر الصوم في قلبه، وأصبح رسماً دون معنى، ولم يتحقق من قوله صلى الله عليه وسلم (الْصِيامَ جُنَّة، فِإذا كَانَ أحَدكُمْ صَائِماً، فَلاَ يَرْفُثُ، ولا يَجْهَلُ، فإن أمْرؤ شَاتَمهُ أو قَاتَلَه فُلْيَقل إنِي صَائُم)[2].

ويبقى الصيام بعد ذلك وسيلة من أهم وسائل الإصلاح الوجداني، وذلك لما يعمقه من معاني رقيقة في النفس، كالإخلاص، والصدق، وقوة والصبر على الشدائد، حين تمتنع النفس عن المباحات بجميع أصنافها من بطن وفرج، قربةً لله تعالى وحباً فيه وخوفاً منه ورجاءً فيه سبحانه، لهذا كان الصيام في وصفه، هو التحلي بكل خلق سني والتخلي عن كل خلق دنيء.

ولا يخفى على أحد أهمية الصوم في الوصول إلى حالة التصفية للباطن بوصفه وعاءً للمعرفة، التي ينشدها الصائم، وذلك لأن "غاية المقصود من العبادات الفكر الموصل إلى المعرفة والاستبصار ببصائر الحق، والشبع يمنع منه، والجوع يفتح بابه، والمعرفة باب من أبواب الجنة، فبالأحرى أن تكون ملازمة الجوع قرعاً لباب الجنة"[3]

ومما لا شك فيه أن أعظم المهلكات لابن آدم شهوة البطن، لأن البطن على التحقيق ينبوع الشهوات ومنبع الأدواء والآفات إذ يتبعه شهوة الفرج، ثم تتبع شهوة الطعام والنكاح، شدة الرغبة في الجاه والمال، اللذان هما وسيلتان إلى التوسع في المطعمات، ثم يتبع استكثار المال والجاه أنواع الرعونات، وضروب المنافسات والمحاسدات، وكل ذلك ثمرة إهمال المعدة، وما يتولد منها من بطر الشبع والامتلاء، ولو ذلل العبد نفسه بالجوع، وضيق المجاري على الشيطان، لأذعنت النفس لطاعة الله عز وجل ولم تسلك سبيل البطر والطغيان[4].

ولما كان للصوم هذه الخصوصية دون غيره من العبادات، كان الجزاء لانهاية له وهذا معنى قوله: سبحانه في الحديث القدسي (الصَيأُم لِي وأنَا اجُزِى بَه)[5]، ومن ثم فقد خرجت هذه العبادة من ثواب معلوم إلى ثواب لا يعلمه إلا الله وحده؛ لأنه صبر النفس الطعام والشراب ،وبعدها عن الملذات والمباحات يضاعف ثوابها من غير حد كما مر معنا.

ولا يقتصر أمر الصوم على هذه الدلالات الأخلاقية بوصفه كبحاً لجماح الشهوات ظاهراً وباطناً، ومن

(1) ينظر/ السهروردي، عوارف المعارف، مصدر سابق، ص351

(2) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الصوم، باب فضل الصوم برقم (1894) 25/3 .

(3) الغزالي، إحياء علوم الدين، مصدر سابق، ج 3/ص84.

(4) ينظر/المزيدي (أحمد فريد)، البحر الرائق في الزهد والرقائق، نشر: دار الخلفاء الراشدين، الإسكندرية مصر، ط1 سنة 2010 م، ص 73.

(5) أخرجه البخاري، رقم (1761) ومسلم رقم (1946).

حيث هو أيضاً حفظ لحقوق الحق تعالى من ناحية ولحقوق الخلق عليه من ناحية أخرى، وإنما للصوم أيضاً دلالاته الروحية، التي تجعله عبادة من أجل العبادات، ففي إمساك النفس عن المأكول والمشروب وضروب الشهوة عون لها في التحرر من هذه الشهوات ،ولو لم يكن الإنسان واعياً بالقصد من هذه الحقيقة بالذات لاسترقته الأشياء، واستعبدته تماماً عن مراد العبادة [1].

وبناءً على ما سبق فإن الصيام بهذا المفهوم ليس صنفاً واحداً، بل يتفاوت في المراتب والدرجات، "فهناك صوم العوام، وصوم الخصوص، وصوم خصوص الخصوص، فصوم العموم هو كف البطن والفرج عن الشهوة، وصوم الخصوص هو كف السمع والبصر واللسان واليد والرجل وسائر الجوارح عن الآثام، وصوم خصوص الخصوص هو صوم القلب عن الهمم الدنيئة والأفكار الدنيوية وكف القلب عما سوى الله عز وجل بالكلية" (2).

والمهم بعد كل ما ذكر أن الصوم يدعو الى شكر النعمة، إذا امتنع عنها في وجودها فهو تقويم للجسد لا تعيذاً له، وهذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم: (لا بل أجوع يوماً وأشبع يوماً، فإذا جعت صبرت وتضرعت، وإذا شبعت حمدت وشكرت)(3)

وذلك لأن عدم الشبع يسكن قوة النفس الكامنة، ويضعف شهواتها، ويقلل من رغابتها، فإذا تحقق ذلك زال بطرها وشرها، وأصبحت أكثر تذلل، وأضعف قوة على فعل المنهيات.

ولا شك أن الراحة النفسية والجسدية تكمن في الكف عن الطعام، كما أنه من أكبر فوائد الجوع كسر الشهوات والاستلاء على النفس ،لأنها منشأ المعاصي والشهوات هي الأطعمة، فتقليلها يضبط الشهوة،، فالنفس إذا شبعت قويت وشردت وجمحت وطغت، وهذا ما يجعل الصوم درجة من درجات سلم الوصول إلى الله تعالى لا يمكن الاستغناء عنه(4).

رابعاً: الحج

يعتبر الحج الركن الخامس من أركان الإسلام، ولا يقل أهمية عما سبقه من العبادات، لأنه يحمل الكثير من الدلالات والأسرار الروحية، التي تسهم في رقي الروح، وتحقيق السعادة في الدارين فهو تحقيق لقوله تعالى ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَجِّ يَأۡتُوكَ رِجَالٗا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٖ يَأۡتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٖ﴾ (5) أي: "أعلمهم به وادعهم إليه، إليه، وبلغ دانيهم وقاصيهم فرضه وفضيلته، فإنك إذ دعوتهم أتوك حجاجاً وعماراً"(6).

فإذا طرق باب الحج لتسليط الضوء على المعاني الروحية فيه، فإن أول ما يصادفنا هو الإحرام، وليس الإحرام هو التجرد من المخيط والمحيط فقط، وإنما هو التجرد عن مظاهر الترف، والزينة، وحب الذات، وإن تلك

(1) ينظر/الجزار (د. أحمد محمود) دراسات في التصوف الإسلامي، مرجع سابق، ص 51.

(2)الغزالي، إحياء علوم الدين، مصدر سابق، 223/1.

(3) أخرجه الترمذي في "جامعه" ابواب الزهد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. باب ما جاء في الكفاف والصبر عليه برقم (2347) 4/ 575 دار الغرب الإسلامي بيروت لبنان طبعة سنة: 1998م، وقال : هذا حديث حسن، وعقب ابو الحسن القطان فقال : حديث ضعيف، ينظر كتاب بيان الوهم والإيهام ابو الحسن ابن القطان، تحقيق : د. الحسين سعيد، نشر: دار طيبة الرياض، ط1 سنة 1979 م

(4) ينظر/ المزيدي، البحر الرائق في الزهد والرقائق، مرجع سابق، ص74، 75.

(5)- سورة الحج: الآية (27) .

(6) السعدي (عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، نشر: مؤسسة الرسالة ط سنة 200م 1/ 536.

الملابس البيضاء المجردة من معاني الترف، والتكبر، وصناعة النفس، وغلبة الهوى، تذكر الحاج ساعة خروجه من الدنيا تاركاً كل شيء مقبل على الله تعالى لا غير.

فالإحرام بهذا المعنى الدقيق يحث المحرم على التفكر في عظمة الله تعالى، وألا ملجأ منه إلا إليه، فهو بهذا الوصف لا يعنى التجرد من الملابس فحسب، بل يعني التجرد من الدنيا بما فيها، والإقبال على الله تعالى.

فإذا جاء الطواف وجب على القلب أن يطوف مع الجسد لتحقيق الغاية العليا من حجه ،لأنه في حضرة الحق سبحانه، فالطواف كما أنه طواف البدن حول الكعبة المشرفة، فإنه في نفس الوقت طواف القلب في ملكوت الله تعالى، فكما ينظر الحاج إلى البيت بعين رأسه لابد أن ينظر بعين قلبه إلى من دعاه إلى البيت بعين العظمة والجبروت والتجلي[1].

فإذا جاء وقت السعي بين الصفا والمروة، لم ينظروا إلى الأبدان دون الارواح فهى محل العطايا والصلة مع الخالق سبحانه، وفى الصفاء يكمن صفاء القلب ولا كدرة عليه بعد ذلك، فإذا هرولا الحاج وأسرع في مشيته' فإنه يسرع بالفرار من نفسه، والهوى، والشيطان، فلا رجعة له في قلبه بعد ذلك وهكذا[2].

ثم يأتي بعد ذلك الوقوف بعرفة وهو أحد أهم أركان الحج، بل أنه الحج في حد ذاته، فالحج عرفة، والوقوف بعرفة فيه من الدلالات الروحية ما فيه، فهو أعظم مكان يذكرك بالوقف يوم الغد أمام الجبار سبحانه، وعلي الحاج أن يتذكر في هذا الموقف الرهيب الحشر، والنشر، والبعث من القبور، والأهم من ذلك كله أن الوقوف وقوف عز بين يديه سبحانه، فلا يعرض بعد هذا الوقوف عنه ابداً[3].

وهذه المعاني الدقيقة تجعل من حج الأبدان كحج القلوب تماماً، لذلك عند رمي رمي الجمرات يرمي الحاج معها جمرات الهوى والنفس والحظوظ والأماني، إن الرمي الأول هو الذي يفعلونه امتثالاً لما يحدده الشرع لأداء الفريضة، والثاني يوجب الكمال في العبادة أو الفريضة، وكما أن الأول لابد منه فكذلك لابد من الثاني، ولا يتأتى الأخير بالبدن، بل بالقلب وتجرده عن كل ما سوى الله سبحانه [4].

ولعله بعد ما سبق ذكره يتبين أن الحج هو التماس معرفة الله تعالى وحبه، والتحقق من قربه فعند الإحرام تتجرد النفس عن كل ملذاتها وشهواتها، وتخرج من النفس كما تخرج منها عند اللقاء، وعند الطواف تكمن معاني الخشوع والخوف والذل له سبحانه، فتسمو النفس، وتشرق الروح من جديد، وبين الصفا والمروة سعى وراء الحقيقة، وتضرع وخشية تحرك الوجدان، وتوقظ الضمير، وما الوقوف بعفة إلا كالوقف يوم اللقاء حين تصعد الدعوات، وأنين الشوق يعلو ذلك المكان، فما مقصدهم بعد ذلك إلا الله سبحانه.

وهو علاوة على ذلك كله تدريب النفس على تحمل المشقة ومفارقة الأوطان، والأهل والأحباب، كما أنه في الوقت نفسه يحقق معنى العادلة الربانية بكل ما فيها، فلا فرق بين ملك ولا مملوك ولا سيد ولا مسيود ولا غني ولا فقير.

---

(1) ينظر/ الطوسي، اللمع، مصدر سابق، ص 160.

(2) ينظر/ المصدر السابق، ص 160

(3) ينظر/ نفس المصدر، نفس الصفحة.

(4) ينظر/ الجزار (د. أحمد محمود) دراسات في التصوف الإسلامي، مرجع سابق، ص 58.

ولما كان الحج يرمز إلى هذه الدقائق الروحية، فإنه يؤدي في نفس الوقت إلى تمعن المبادئ الإسلامية العالية، فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج لقوله تعالى: ﴿**ٱلۡحَجُّ أَشۡهُرٞ مَّعۡلُومَٰتٞۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلۡحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلۡحَجِّۗ وَمَا تَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ يَعۡلَمۡهُ ٱللَّهُۗ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيۡرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقۡوَىٰۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ**﴾ ([1])ومعنى ذلك " أن مرمى القول الكريم والنهي عن كل قول يجعل اللسان غير نزيه وكل قول يؤدي الى النزاع والجدال يؤدي الى الخصام ؛لأنهم مجتمعون على مائدة الرحمن الروحية ليتعارفوا، وليتلاقوا، وليقوى اتحادهم، ويعتزوا بعزة الله تعالى، فيجب اجتناب كل ما يؤدي الى النزاع والخصام"[(2)].

الخاتمة والنتائج

وبهذا ولله الحمد والمنة أكون قد أتممت ما أردت، وختمت ما قصدت، وخرجت بالنتائج الآتية:

أولاً: أظهرت الدراسة أن للعبادات في الإسلام بعد روحي، لا يقل أهمية عن الناحية العملية كشروط الصحة والوجوب والطهارة وأركان الصلاة وغيرها.

ثانياً: أظهرت الدراسة أن الكمال الروحي لا يتحقق إلا إذا كان للعبادة عمق في سلوك المسلم، وأن العبادة لا تكتمل إلا بحضور القلب وتفاعل الوجدان.

ثالثاً: أثبتت الدراسة أن الشق المعنوي للطهارة والذي يمثل الطهارة القلبية من الكذب والحسد والرياء وجميع أمراض القلوب، يعتبر هو الركيزة الأساسية لكل عبادة وهو النتيجة المرجوة منها بعد ذلك.

رابعاً: أظهرت الدراسة أن سلوك المسلم الروحي في الصلاة وفى غيرها من العبادات، ينعكس على المجتمع الذي يحيط به ومن ثم يصبح داعية إلى الله من خلال ذلك السلوك.

خامساً: أثبتت الدراسة أن العبادة في الإسلام لا تقف على الظواهر، وإنما تهتم بباطن المسلم وتعالج ضميره، وتصل به إلى صفاء النفس والرقي بها.

المصادر والمراجع

1. ابن القيم (إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، دار التراث العربي القاهرة مصر، ط1 سنة 1983م.
2. ابن القيم (محمد بن أبي بكر) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان، ط3 1996م.
3. ابن القيم مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، علق عليه محمود حسن ربيع، نشر: مكتبة حميدو الاسكندرية مصر، ط 3 1979م.
4. ابن تيمية (أحمد بن حليم) العبودية، نشر: المؤسسة السعودية القاهرة مصر، سنة 1987م.
5. ابن تيمية (أحمد بن حليم) مجموع الفتاوى، تحقيق: عامر الجزار، وأنور البار، نشر: دار الوفاء، المنصورة مصر، ط3 سنة هـ، 2005م.
6. ابن تيمية (أحمد بن حليم)، التحفة العراقية في الأعمال القلبية، نشر: المكتبة السلفية القاهرة مصر د.ت.
7. ابن عربي (محى الدين): الكلمات التي تداولتها الصوفية، تحقيق: محمد عبد الرحمن الشاغول، دار جوامع الكلم، القاهرة مصر، د. ت.

(1) **سورة البقرة: الآية (197).**

(2) أبى زهرة (محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد) زهرة التفاسير، نشر: دار الفكر العربي، بيروت، د.ت 2/ 615.

8. ابن فارس (أبو الحسين أحمد) معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر سنة 1979م.
9. أبو الإسعاد (د. سعد): البيان الحازم أن التصوف لتزكية الإنسان نهج لازم، نشر: شركة الفتح، القاهرة مصر، ط3، سنة 2007 م.
10. أبى زهرة (محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد) زهرة التفاسير، نشر: دار الفكر العربي بيروت د.ت.
11. الأزهري (أبو منصور محمد بن أحمد) تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، نشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان، ط1 سنة 2001م.
12. الجرجاني (على بن محمد بن على) التعريفات، نشر: دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط1 سنة 1983م
13. الجزار (د. أحمد محمود) دراسات في التصوف الإسلامي، نشر: دار الوفاء الاسكندرية مصر، ط1سنة 2015م.
14. الجوهري (أبو نصر إسماعيل بن حماد) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية. تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار الملايين بيروت لبنان ط4 سنة 1987م.
15. الجيلاني (عبد القادر): فتوح الغيب، تحقيق: أبو سهل نجاح عوض، نشر: دار المقطم، القاهرة مصر، ط1سنة، 2007 م.
16. الجيلاني، (عبد القادر) الفتح الرباني والفيض الرحماني، نشر: مكتبة أم القرى، القاهرة مصر، د.ت.
17. الحنبلي (ابن رجب) الخشوع في الصلاة، مكتبة القيمة، القاهرة مصر ط2، سنة 1983م.
18. الخراز (أبو سعيد) الطريق إلي الله، تحقيق: عبد الحليم محمود، نشر: مطبعة حسان القاهرة، مصر سنة1975 م.
19. الخطيب (عبد الكريم يونس) التفسير القرآني للقرآن، نشر: دار الفكر العربي القاهرة مصر د.ت.
20. الديربى (عبد العزيز) طهارة القلوب والخضوع لعلام الغيوب، نشر: دار الفجر للتراث، الأزهر الشريف، مصر، ط2 سنة 2004م.
21. الرازي (أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن) مفاتيح الغيب، نشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان، ط3 سنة 1423هـ.
22. الزاوي (الطاهر أحمد) مختار القاموس: نشر: الدار العربة للكتاب، ليبيا تونس، سنة 1980م.
23. السعدي (عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، نشر: مؤسسة الرسالة ط سنة 2000م.
24. السكندري (ابن عطا الله): التنوير في إسقاط التدبير، تحقيق: موسى محمد على، عبد العال العربي نشر: دار التراث العربي، القاهرة مصر، سنة 1973م
25. السمرقندي (علاء الدين شمس النظر) ميزان الأصول في نتائج العقول في أصول الفقه، تحقيق: عبد الملك عبد الرحمن السعدي، نشر: وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، لجنة إحياء التراث العربي، العراق ط1 سنة 1411 م.
26. السهروردي (شهاب الدين) عوارف المعارف، تحقيق د. عبد الحليم محمود ود. محمود بن الشريف، نشر: مكتبة الإيمان، القاهرة مصر، ط1 سنة، 2005م.
27. الطوسي (أبو نصر عبد الله السراج): اللمع في تاريخ التصوف، تحقيق: كامل مصطفى الهنداوي، نشر دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط2 سنة 2007م.
28. العراقي (أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم) المغني عن حمل الأسفار في الأسفار، في تخريج ما في الإحياء من الأخبار، نشر: دار ابن حزم، بيروت لبنان، ط1 سنة، 2005 م.
29. العز (بن عبد السلام)، مقاصد العبادة، تحقيق: عبد الرحيم أحمد، نشر: مطبعة اليمامة حمص سوريا، ط 1 سنة 1995م.
30. الغزالي:(أبي حامد محمد بن محمد) إحياء علوم الدين، نشر: دار المعرفة بيروت لبنان، د.ت.
31. الفاسي (علال) مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها، نشر: دار الغرب الإسلامي ط5 سنة 1993م.
32. الفيروز آبادى (مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب) القاموس المحيط، تحقيق مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة نشر: مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان، ط 8 سنة 2005م.
33. القرضاوي (د. يوسف) العبادة في الإسلام، نشر: مكتبة وهبة، القاهر مصر، ط6 سنة 1995م.
34. القشيري (أبو القاسم) الرسالة القشيرية، تحقيق: د. عبد الحليم محمود، د. محمود الشريف، نشر: مؤسسة دار الشعب مصر، ط1 سنة1409هـ 1989م.

35. المراغي (أحمد بن مصطفى) نشر: مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده مصر د ت.
36. المزيدي (أحمد فريد): أبو العلمين القطب الكبير السيد أحمد الرفاعي وأصول الطريقة الرفاعية، نشر: دار كتاب ناشرون، بيروت لبنان، ط1 سنة، 2013م.
37. المزيدي (أحمد فريد)، البحر الرائق في الزهد والرقائق، نشر: دار الخلفاء الراشدين، الإسكندرية مصر، ط1 سنة 2010 م.
38. النسفي (أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمد) مدارك التنزيل وحقائق التأويل، تحقيق يوسف علي بديوي، نشر دار الكلم الطيب، بيروت لبنان، ط1 1998م.
39. الهجويري (أبو الحسن على بن عثمان) كشف المحجوب، ترجمة: د. إسعاد عبد الهادي قنديل، نشر: دار النهضة العربية بيروت لبنان، ط سنة 1980م.
40. جامع الترمذي دار الغرب الإسلامي بيروت لبنان طبعة سنة: 1998م،
41. جامع الترمذي نشر: دار الغرب الإسلامي بيروت لبنان، طبعة سنة، 1998م.
42. رضا (محمد رشيد بن على) تفسير القرآن الكريم (تفسير المنار) نشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة 1990م.
43. ص كتاب سنن أبي داود، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، محمد كامل، نشر: دار الرسالة العالمية، ط1 سنة 2009 ميلادي.
44. صحيح ابن حبان نشر: مؤسسة الرسالة بيروت لبنان ط3سنة ،1993م
45. صحيح بخاري، نشر: دار طوق النجاة، بيروت ط1سنة 1422هـ
46. عبده (الامام محمد) رسالة التوحيد، نشر: مطبعة النصر للطباعة، القاهرة مصر، سنة 1969م.
47. كتاب الزهد للبيهقي، تحقيق: عامر أحمد حيدر، نشر: مؤسسة الكتب الثقافية بيروت، ط3 سنة 1996 م.
48. كتاب بيان الوهم والإيهام ابو الحسن ابن القطان، تحقيق: د. الحسين سعيد، نشر: دار طيبة الرياض، ط1 سنة 1979 م
49. مجالس شيخ الإسلام عبد القادر الجيلاني، تحقيق: ميعاد شرف الدين الكيلاني، نشر: دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1 سنة 2010 م.

المحـــــتـــــويـــــات

عنـــــــوان البحـــــــــــــث	رقم الصفحة
(فهم النصوص النبوية في إطار المقاصد الشرعية) إعداد الباحث: د. خليفة فرج الجراي	8
اللآلئ المنظومة في الفقه المالكي- باب: علم الفرائض نظم الدكتور: فرج علي حسين الفقيه الكراتيالجزء الثاني شرح الدكتور: بشير أحمد امحمد	23
شرح اللآلئ المنظومة في الفقهباب الحدود (حد السرقة) لناظمها فضيلة الشيخ الدكتور : فرج علي حسين الفقيه ضبط وشرح : د . أسامة إبراهيم محمد المصراتي	46
تحقيق فصل (القسمة من باب البيوع) من شرح توضيح الأحكام على تحفة الحكام للشيخ عثمان بن المكي بن بلقاسم التوزري الزبيدي إعداد: د. آمنة محمد نويجي	61
الإجارة و أحكامها عند المالكية الأستاذ : منصور عبد اللطيف الجعراني أبوعائشة	82
(أحكامٌ في باب الطهارة بناها المالكية على عمل السلف) د. عبد العظيم جبريل حميد	96
تزكية النفس في ميزان الشريعة الإسلامية أ.صالح الهاشم محمد أحمد بن يحمد	109
البعد الروحي للعبادة في الإسلامة/ دراسة تحليلية يوسف إدريس البزاز	129
التربية المدرسية وتنمية قيم الانتماء للوطن إعداد: د. ميلاد عبد القادر محمد فنته	149
أهم الحاجات الإرشادية وعلاقتها ببعض المتغيرات لدى طلبة كلية الآداب بالجامعة الأسمرية بمدينة زليتن.	166

د.جمعة محمد التكوري	
دور الجمعيات الخيرية في تقديم المساعدات الانسانية (جمعية الرحمة والإخاء للأعمال الخيرية بمدينة مسلاته أنموذجاً) د. بلال مسعود عبد الغفار التويمي	178

عنـــــــوان البحـــــــــــــث	رقم الصفحة
مشكلات دمج ذوي الاحتياجات الخاصة بالمدارس العامة ودور الخدمة الاجتماعية في مواجهتها د. رانيا معمر أبوعجيلة العباني	194
الإشكالية المعرفية في الفكر الإسلامي (الفارابي وابن رشد انموذجاً) د. آمنة عبدالسلام الزائدي	207
طرابلس حتمية العاصمة (دراسة في الجغرافيا السياسية) د. المهدي صالح المهدي	220
التعليم الحكومي العثماني بولاية طرابلس الغرب (اللائحة التعليمية التنظيمية الصادرة سنة 1909م . أنموذجا) د .غيث عبد الله العربي	232
الوقف ودوره في تدعيم زاوية أولاد العالم 1890- 1970 استنادا إلى الوثائق الأهلية . د: فيصل مفتاح عبيدات	248
ليبيا حسب البيانات المسجلة من المعهد القومي لعلاج الاورام (مصراته) ليبيا لمدت ثماني سنوات د. جميلة علي احمد زائد	264
دراسة معدل إنتشار مرض اللشمانيا الجلدية في منطقة سوق الخميس وضواحيها أ.علي محمد الغرياني	276